

أبرز السمات والأصول والوسائل والأساليب في دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية

د. عابد بن عبدالله بن معيوض الثبيتي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فإنَّ دعوة ابن تيمية: قد بدأت في القرن السابع الهجري وأثّرت في عصرها والعصور التي تليه، ومازالت تؤثر في الدعوات المعاصرة، لذا رأيت دراسة هذه الدعوة واستنتاج أبرز سماتها وأصولها وبيان الوسائل والأساليب التي استخدمتها، ومن ثمَّ ذكرت أثرها في الدعوات التي جاءت بعدها، فاستعنت بالله في كتابة هذه البحث.

منهج البحث:

قد سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي الاستنباطي، حيث قرأت الفترة التاريخية التي عاش فيها ابن تيمية: من قبل ولادته إلى وفاته من كتاب البداية والنهاية لابن كثير، كما قرأت ما كُتب في ترجمته مستقلا، وقرأت أيضا كثيرا من كتبه وحاولت تحليل المعلومات واستنباط منهجه في الدعوة إلى الله، وقد جعلت مبحثا عن عصره،

لأجل التعرف على الواقع الذي قامت فيه تلك الدعوة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن جعلته في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، هي على النحو الآتي:

- المقدمة، وفيها منهج البحث وتساؤلاته وحدوده وأهدافه ومنهجه وخطته.
- التمهيد: وفيه التعريف بشيخ الإسلام ابن تيمية:.
- المبحث الأول: عصر ابن تيمية، وفيه ثلاثة مطالب.
 - ❖ المطلب الأول: الحالة السياسية.
 - ❖ المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية.
 - ❖ المطلب الثالث: الحالة الدينية.
- المبحث الثاني: أبرز سمات وأصول دعوة ابن تيمية، وفيه مطلبان.
 - ❖ المطلب الأول: أبرز سمات دعوة ابن تيمية.
 - ❖ المطلب الثاني: أبرز أصول دعوة ابن تيمية
- المبحث الثالث: أبرز الوسائل والأساليب في دعوة ابن تيمية.
 - ❖ المطلب الأول: أبرز الوسائل الدعوية في دعوة ابن تيمية.
 - ❖ المطلب الثاني: أبرز الأساليب الدعوية في دعوة ابن تيمية.
- المبحث الرابع: أبرز نتائج دعوة ابن تيمية والدروس المستفادة منها وفيه مطلبان.

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث.

- قائمة المصادر والمراجع.
- فهرس المحتويات.

والله أسأل أن يوفق لما فيه الخير والصلاح كاتبه وقارئه وأن يجعله من العمل الصالح الذي يقرب إليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تمهيد:

شيخ الإسلام ابن تيمية هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله الحراني.

وتيميَّة التي يُنسب إليها قيل: إنها لقب لجده الأعلى محمد بن الخضر بن علي، وقيل: إن محمداً هذا كانت أمه تسمى تيميّة وكانت واعظة فنسب إليها، وعرف بها.

ولد بعد سقوط بغداد في يد المغول، وزوال الخلافة العباسية بخمس سنين، وذلك يوم الاثنين، العاشر من ربيع الأول، سنة إحدى وستين وستمائة للهجرة في بلدة حران وإليها ينتسب، قضى: السنين السبع الأولى من حياته مع أسرته بحرّان حتى بدأ زحف المغول من العراق إلى الشام، وكانت حرَّان في طريقهم فخاف الناس وهاجروا، وكان ممن هاجر أسرة ابن تيمية، فهاجرت إلى دمشق واستقرت فيها. توفي: بسبب مرض أصابه في سجن القلعة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة[1].

المبحث الأول
عصر ابن تيمية:

وفيه مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية

عاش ابن تيمية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري والثلث الأول من القرن الثامن.

وهذا العصر شهد مولد الدول المملوكية التي بدأت في مصر وامتدت إلى الشام والحجاز وعاشت ما يزيد على قرنين ونصف من الزمان.

(١) العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن عبد الهادي الدمشقي ص (٣٧٧).

وقد أدرك شيخ الإسلام: زمن خليفتين من البيت العباسي هما: الحاكم بأمر الله[١]، والمستكفي بالله[٢]، وعايش إحدى عشرة سلطنة لثمانية سلاطين من المماليك ابتداءً بالظاهر بيبرس[٣]، وانتهاءً بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون[٤] في سلطنته الثالثة.

ويمكن تلخيص مظاهر الحياة السياسية في هذا العصر في النقاط التالية:

١) سقوط الخلافة الإسلامية في بغداد، وما صاحب ذلك من الفوضى في الأقطار الإسلامية، وخاصة التي كانت على مقربة من دار الخلافة كالشام وحرّان موطن شيخ الإسلام رحمه الله.

وقد سارت الجيوش المغولية إلى بلاد الشام ودخلت مدنها، وأرعبت أهلها إلاّ أن الله كسرهم على يد المماليك في عين جالوت فأخرجوا منها بعد أقل من ستة أشهر

(١) هو: أبو العباس أحمد بن الحسن بن علي بن المسترشد العباسي، اختفى بعد استيلاء المغول على بغداد. بويع بالخلافة في مصر عام ٦٦١ هـ بعد انقطاع خبر الخليفة المستنصر الذي هُزم من قبل المغول سنة ٦٦٠ هـ، وتلقب بالحاكم بأمر الله، وتوفي سنة ٧٠١هـ ودفن بالقاهرة. ينظر: البداية والنهاية (٢٢/١٤) النجوم الزاهرة (١١٨/٧)، شذرات الذهب (٢/٦).

(٢) هو: أبو الربيع، سليمان بن أحمد بن الحسن بن علي بن المسترشد العباسي، ولد سنة ٦٨٤ هـ، وبويع له بالخلافة بعد أبيه سنة ٧٠١هـ وكان عمره سبعة عشر عاماً، شهد مع السلطان الناصر وقعت شقحب، وبقي في الخلافة إلى حين وفاته سنة ٧٤٠هـ. ينظر: الدرر الكامنة (٢٧٩/٢).

(٣) هو: بيبرس العلائي البندقداري، مملوك تركي، ولد بأرض القفجاق، ثم أسر وبيع، فانتقل في البلدان حتى استقر بالقاهرة في مُلك الملك الصالح نجم الدين فأعتقه. ترقى في الأعمال حتى صار قائداً للجيش، والتقى مع المغول في معركة عين جالوت فهزمهم، تولى السلطنة بعد قتله للملك المظفر قطز، فأحيا الخلافة العباسية، وحرر كثيراً من بلاد الشام من أيدي النصارى، كان عادلاً عالي الهمة،شديد البأس، محباً للجهاد، توفي مسموماً بدمشق سنة (٦٧٦هـ) وعمره (٥١) سنه.

ينظر: البداية والنهاية (٣٠٥/١٣)، النجوم الزاهرة (٩٤/٧-١٧٥)، وشذرات الذهب (٣٥٠/٥).

(٤) هو: محمد بن قلاوون، سلطان الديار المصرية، وهو تاسع ملوك المماليك، تولى السلطنة بعد قتل أخيه الملك الأشرف سنة ٦٩٣هـ وكان عمره تسع سنين، ثم خُلع بعد سنة وأرسل إلى الكرك ليقيم بها، ثم أعيد إلى السلطنة عام ٦٩٨هـ وعمره آنذاك خمس عشرة سنة، ثم خَلع نفسه بعد عشر سنين من ولايته سنة ٧٠٨هـ، ثم أعيد إلى السلطنة للمرة الثالثة سنة ٧٠٩ هـ، واستمرت سلطنته هذه المرة اثنتين وثلاثين سنة ونصف، وهو أطول ملوك المماليك فترة، وأغزرهم عقلاً، وأحسنهم سياسة، وأكثرهم دهاءً، توفي سنة ٧٤١هـ. ينظر: فوات الوفيات (٣٥/٤)، شذرات الذهب (١٣٤/٦).

من دخولها.

فاندحر التتار عن بلاد الشام، واستمر خطرهم يهدد العالم الإسلامي إلى بداية القرن الثامن الهجري حينما قاتلهم المسلمون من أهل الشام ومصر في معركة شقحب[1] الشهيرة.

٢) وجود الخطر الصليبي الذي يشن حملاته بين الفينة والأخرى على الإسكندرية، وسواحل الشام، فكانت حملاتهم لا تكاد تفتر عن العالم الإسلامي، وقد استولوا على عدد من القلاع والحصون في فلسطين وغيرها.

٣) كانت الخلافة في العهد المملوكي خلافة صورية مجردة من كل أنواع السلطة، فليس للخليفة أمر ولا نهي، وإنما يُفوَّض السلطان المملوكي تفويضاً عاماً يخوِّل له التصرف في أمور الدولة، وقد لجأ المماليك إلى تنصيب الخليفة لمّا ظهر لهم عدم قبول الناس لملكهم وهم مماليك للسلاطين الأيوبيين، ثم اختاروا الخليفة من البيت العباسي ليكون ذلك أدعى للسمع والطاعة لهم، لما استقر في نفوس الناس في العالم الإسلامي من توقير للبيت العباسي.

٤) كانت لسلطنة الظاهر بيبرس أثر بالغ في بقاء العالم الإسلامي على صموده أمام تلك الأخطار التي تهدده من الشرق والغرب، وذلك لقوة بأسه وشجاعته وحبه للجهاد.

٥) لم يكن السلاطين الذين تولوا بعد الظاهر بيبرس على شاكلته في الجهاد ودفاع الأعداء، بل مالوا إلى الترف واللعب، والاستئثار بالأموال، فسبب ذلك تفككاً بين أقطار الدولة، حتى حدث أن صار للشام سلطان ولمصر

(١) هي: موضع قرب دمشق على تخوم أرض حوران. ينظر: القاموس المحيط، مادة (شقب).

سلطان آخر، وظهرت الفتن، وتقاتل القواد على السلطنة، وضعف أمرها حتى وُلِّيت للأطفال، وفرضت عليهم الوصاية، وانتشر الفساد الإداري وأصبحت المناصب تعطى لمن يدفع أموالاً أكثر[1]، فكان كلما غضب السلطان على والٍ وعزله وجد عنده أموالاً كثيرة قد استأثر بها من بيت مال المسلمين.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

عندما ينشغل الحكّام عن مصالح الناس، ويسيروا خلف أهواء نفوسهم وأطماعها، فإنه سوف يدب في المجتمع المسلم الضعف التدريجي حتى يبتعدوا عن تعاليم الإسلام وأحكامه، وتظهر فيهم عادات الجاهلية وأخلاقها، ويفشو الظلم ويقلّ الأمن، وتمتلئ النفوس حنقاً وغيظاً على بعضهم البعض، وقد حدث كثير من هذا في عهد شيخ الإسلام: يمكن تلخيص أشهر مظاهره فيما يلي:

ـ انتشار عادات الجاهلية من التفاخر بين المسلمين بالأحساب والأنساب، والتقاتل على الدنيا، والاعتداء على الدماء والأموال، وطلب الثأر للمقتول من غير قاتله، وظلم القوي للضعيف، والكذب، وفعل الفواحش، وعدم تحكيم الشرع.

ـ وجود العصبيات القبلية، والتقاتل عليها والتناصر بسببها. ومن ذلك ما حدث بين قبيلتي قيس ويمن[2] من التقاتل عام تسع وسبعمائة من الهجرة.

(١) ذكر ابن كثير: أن شيخ الإسلام أشار على السلطان الناصر محمد بن قلاوون بأن لا يُولّى أحدٌ بمال ولا رشوة لأن ذلك يفضي إلى ولاية من لا يستحق الولاية، وإلى ولاية غير الأهل، فكتب السلطان إلى الولاة بذلك عام ٧١٢هـ. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٧٢/١٤).

(٢) قيس: قبيلة عدنانية تنتسب إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، تشعبت إلى قبائل كبيرة حتى غلب اسمها على القبائل العدنانية. ويمن: اسم يطلق على عرب اليمن قاطبة في مقابل العرب العدنانية فيقال: قيس ويمن، يراد بقيس العرب العدنانية، وبيمن العرب القحطانية. ينظر: معجم قبائل العرب، لعمر كحالة (٩٧٢/٣).

ـ ظلم الحكّام والولاة للناس، وفرض المكوس[1] عليهم، وما زال الناس مع حكامهم في تذبذب بين من يفرض عليهم المكوس أعواماً، ثم يسقطها، ثم تُفرض مرة أخرى، ثم تزاد وهكذا لا يراعون فيها فقر الناس ولا حاجتهم.

ـ تزعزع الأمن وتقلّبه.

ـ انتشار الفقر والغلاء، فلا تكاد تمر سنوات على الناس إلاّ وتعصف بهم موجة من الغلاء الذي يأكل الأخضر واليابس، ويشق ذلك على الناس مشقة عظيمة حتى يضطرهم إلى أكل المحرمات كالحمير والبغال ونحوها[2].

المطلب الثالث: الحالة الدينية

كان المظهر العام للمجتمع مظهراً إسلامياً مع وجود كثير من الخلل، فالحكام يعلنون الحكم بشريعة الله، والقضاة والولاة يفصلون بين الناس بالكتاب والسنة، والشعائر الظاهرة قائمة... إلاّ أنه مع هذه الصبغة الدينية كلها تظهر بعض الانحرافات، وإن كانت هذه الانحرافات لم تأخذ طابع العموم في كل أحوالها، لكنها تدل على ضعف التدين الذي صار يدب في بعض أفراد المجتمع.

وحتى أُبين الحالة الدينية، فإنّ الحديث سوف يدور حول ثلاث فئات هم الذين يكوّنون المجتمع، وبمعرفة بعض مظاهر الانحرافات عندهم تتبيَّن لنا الحالة الدينية لهذا المجتمع:

أولاً: الانحرافات عند الحكام:

ولاة الأمور هم المعنيون بتحكيم الشرع، وحمل الناس على التمسك بأحكامه وشعائره، ومن ثمّ الدفاع عن المجتمع، والسعي لنشر الدين، وقمع البدع، والمحافظة على

(١) هي: الضرائب يأخذها المكّاس ممن يدخل البلد من التجار. المعجم الوسيط، مادة (مَكَسَ).
(٢) ينظر: البداية والنهاية (١٣/٣٨٢، ١٤/١٠، ٩٤، ١٢٤).

سلامة عقائد الناس وأديانهم، مع جهاد الكفار والمنافقين.

وقد سجل يراع شيخ الإسلام: مدى الانحراف عن المنهج السلفي وشدَّة الضعف الذي كانت عليه الدول التي تحكم الأقطار الإسلامية في عهده، ومدى الانحراف عن العقيدة الصحيحة قال رحمه الله: (أما الطائفة بالشام ومصر ونحوهما، فهم في هذا الوقت المقاتلون عن دين الإسلام، وهم من أحق الناس دخولاً في الطائفة المنصورة التي ذكرها النبي ﷺ... ومن يتدبر أحوال العالم في هذا الوقت يعلم أنَّ هذه الطائفة هي أقوم الطوائف بدين الإسلام علماً و عملاً، وجهاداً عن شرق الأرض وغربها، فإنهم هم الذين يقاتلون أهل الشوكة العظيمة من المشركين وأهل الكتاب، ومغازيهم مع النصارى ومع المشركين من الترك ومع الزنادقة المنافقين من الداخلين في الرافضة وغيرهم كالإسماعيلية[1] ونحوهم من القرامطة[2] معروفة معلومة قديماً وحديثاً، والعز الذي للمسلمين بمشارق الأرض ومغاربها هو بعزهم...

وذلك أنَّ سكان اليمن في هذا الوقت ضعاف عاجزون عن الجهاد أو مضيعون له، وهم مطيعون لمن ملك هذه البلاد، حتى ذكروا أنهم أرسلوا بالسمع والطاعة لهؤلاء.

وأمَّا سكان الحجاز فأكثرهم أو كثير منهم خارجون عن الشريعة، وفيهم من البدع والضلال والفجور ما لا يعلمه إلاَّ الله، وأهل الإيمان والدين فيهم مستضعفون عاجزون، وإنما تكون القوة والعزة في هذا الوقت لغير أهل الإسلام بهذه البلاد، فلو

(١) فرقة باطنية، تنتسب إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم الإسلام، وهي تخالف العقائد الإسلامية، أقاموا لهم دولة العبيديين المعروفة بالفاطمية في مصر، لها فرق كثيرة كلها خارجة عن الإسلام.

ينظر: الملل والنحل (٢٢٦/١)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٣٨٣/١)، موسوعة الأديان والمذاهب (١٠/٣- وما بعدها).

(٢) فرقة باطنية، تنتسب إلى حمدان بن الأشعث المعروف بحمدان قرمط، نشأت في البحرين والعراق في القرن الثاني الهجري، وأذاقت المسلمين البلاء، يرون الإباحية، وارتكاب المحرمات، ويخالفون أهل الملة في عقيدتهم، كانت لهم دولتان هما: دولة (آل مهرويه) ودولة (آل الجنابي). ينظر: موسوعة الأديان والمذاهب (١٦/٣ - ٢١).

ذلت هذه الطائفة - والعياذ بالله تعالى - لكان المؤمنون بالحجاز من أذل الناس، لاسيما وقد غلب فيهم الرفض، ومُلك هؤلاء التتار المحاربون لله ورسوله الآن مرفوض، فلو غلبوا لفسد الحجاز بالكلية. وأما بلاد إفريقية فأعرابها غالبون عليها، وهم من شر الخلق، بل هم مستحقون للجهاد والغزو. وأما المغرب الأقصى فمع استيلاء الإفرنج على أكثر بلادهم، لا يقومون بجهاد النصارى هناك، بل في عسكرهم من النصارى الذين يحملون الصلبان خلق عظيم)[1].

وقد صاحب تخاذل الحكام عن الجهاد، وضعف الولاء والبراء، وارتفاع النصارى وإكرامهم وتمكينهم من إقامة أعيادهم ومناسباتهم وإعلانها بين المسلمين[2]، صاحب ذلك جرأة من بعض الحكام على إصدار المراسيم التي تخالف الشرع، والتي تفرض الحماية للخمارات والحانات، وأماكن الفساد[3]، وإصدار أحكام تمنع الناس مما أباح الله لهم مما لم تدعُ لها ضرورة ولا حاجة.

ثانياً: الانحراف عند العلماء، ويظهر في النقاط التالية:

- ❖ تصدر بعض الجهلة من أدعياء العلم حتى صاروا قضاةً ومشايخ يقتدي بهم الناس، فمنهم من كان يصنف الملاحم والقصص المكذوبة ويحدث بها الناس، ومنهم من كان يحدث الناس بالأحاديث الموضوعة المكذوبة.
- ❖ تلبيس بعض العلماء للدين، والتلاعب بالشرع، ونسبة أفعال الظلمة من

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/٥٣١-٥٣٣).

(٢) قال رحمه الله مبيناً ما يفعله بعض الناس من الاحتفال بأعياد النصارى: (ونحن ننبه على ما رأينا كثيراً من الناس قد وقعوا فيه، فمن ذلك: الخميس الحقير، الذي في آخر صومهم، فإنه يوم عيد المائدة فيما يزعمون، ويسمونه عيد العشاء، وهو الأسبوع الذي يكون فيه من الأحد إلى الأحد، وهو عيدهم الأكبر فجميع ما يحدثه الإنسان فيه، من المنكرات) ثم ذكر جملة من البدع التي تفعل فيه. ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية (٢/٥١٧- ٥٢٠).

(٣) ينظر: البداية والنهاية (١٣/٣٠٦، ٣٢٨)، (١٤/١١).

الحكام إلى شرع محمد عليه الصلاة والسلام، رغبة في العطاء والمناصب، حتى أصبحت الوظائف الشرعية وسيلة للتكسب، والاستكثار من المال والجاه، وأصبح للمبتدعة من الصوفية وغيرهم من الملاحدة - أتباع ابن عربي[1] - الكلمة المسموعة والمناصب المرموقة.

- ❖ جمود كثير من العلماء على التقليد المحض، وعدم مخالفة أقوال أئمتهم حتى ولو كان الدليل على خلافها، مما سبب التعصب للمذاهب، والنزاعات بين علمائها، وتفرّق الناس في الصلوات، وأصبح لكل مذهب إمام وجماعة في الصلوات وقاضي يفصل في المنازعات، وتفرقت على إثر ذلك القلوب، وتباعدت النفوس، وصار كل حزب بما لديهم فرحين.
- ❖ انتشار البدع، وقيام علماء كل طائفة بنشر عقيدتهم والرد على من خالفهم، وكان من أبرز الطوائف وجوداً في هذا العصر الشيعة الروافض، والملاحدة أتباع ابن عربي، وأهل الكلام، وأتباع الطرق الصوفية كالأحمدية[2] وغيرها، كل منهم يزعم أنه على الحق وأن غيره على الباطل.

ولهذا انتشرت البدع في الناس في العبادات وغيرها، فعقدت مجالس السماع وصحبة المردان، وانتشرت الفواحش، وظهر الفسق، واضمحلت آثار النبوة أو كادت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) هو: محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي، ولد في مدينة (مرسية) بالأندلس، طلب العلم هناك، وتولى بعض المناصب، ثم رحل إلى المشرق سنة ٥٩٨ هـ فحج ثم تنقل في البلدان حتى استقر بدمشق، واتصل بعلماء التصوف وأصبح رأساً فيهم حتى قال بوحدة الوجود. من كتبه: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، يقرر فيها عقيدته بوحدة الوجود. توفي بدمشق سنة ٦٣٨ هـ وعمره ٧٨عاماً. ينظر: فوات الوفيات (٤٣٥/٣)، البداية والنهاية (١٧٩/١٣)، شذرات الذهب (١٩٠/٥).

(٢) هي: طائفة من الصوفية، ينتسبون إلى الشيخ أحمد بن الرفاعي، ويسمُّون أيضاً بالطبائحية، عندهم من البدع، والشركيات، والمخالفات الشرعية الشيء الكثير، فكان لشيخ الإسلام معهم مناظرات ومجالس في نقض ما عندهم من البدع وادعاء الخوارق. ينظر: مجموع الفتاوى(٤٤٦/١١- ٤٦٥).

قال ابن شيخ الحزامين[1] في رسالته إلى أصحابه من تلاميذ ابن تيمية وهو يصف انحراف الناس من حولهم عن التوحيد: ((وقد عرفتم ما أحدث الناس من الأحداث، في الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام، فأنتم اليوم في مقابلة الجهمية من الفقهاء، نصرتم الله ورسوله من حفظ ما أضاعوه من دين الله، تصلحون ما أفسدوه من تعطيل صفات الله.

وأنتم أيضاً في مقابلة من لم يَنْفُذ في علمه من الفقهاء إلى رسول الله ﷺ، وجمد على مجرد تقليد الأئمة، فإنكم قد نصرتم الله ورسوله في تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة، واتخاذ أقوال الأئمة، تأسياً بهم لا تقليداً لهم، وأنتم أيضاً في مقابلة ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية والحريرية من إظهار شعار المكاء[2] والتصدية[3] ومؤاخاة النساء والصبيان، والإعراض عن دين الله إلى خرافات مكذوبة عن مشايخهم، واستنادهم إلى شيوخهم وتقليدهم في صائب حركاتهم وخطئها، وإعراضهم عن دين الله الذي أنزله من السماء... وأنتم أيضاً في مقابلة رَسْمِيَّة الصوفية والفقهاء، وما أحدثوه من الرسوم الوضعية، والآصار الابتداعية من التصنع باللباس، والإطراق[4] والسجادة لنيل الرزق من المعلوم، ولُبس البقيار[5]، والأكمام الواسعة في حضرة الدرس، وتنميق الكلام و العَدْو بين يدي المدرس راكعين، حفظاً للمناصب واستجلاباً

(١) هو: عماد الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي الدمشقي، ولد سنة ٦٥٧، وتفقه على مذهب الإمام الشافعي، انقطع للعبادة والزهد، وكان يخط على الاتحادية، ذا ورع وإخلاص، توفي سنة ٧١١هـ. ينظر: الدرر الكامنة (١٠٣/١).

(٢) هو: الصفير. ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (مكا).

(٣) هي: التصفيق. ينظر: لسان العرب، مادة (صدد).

(٤) هو: السكوت وعدم الكلام. مختار الصحاح، مادة (ط ر ق).

(٥) كلمة فارسية تطلق على نوع من اللباس مصنوع من وبر البعير. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، دينهارت دوزي، ص (٧٤)

للرزق والإدرار[١]))[٢].

ثالثاً: الانحراف عند العامة:

وبعد أن تبيّن لنا مدى الانحراف الذي ظهر في ولاة الأمر من الحكام والعلماء كان من الطبيعي أن ينعكس هذا على حياة الناس.

وقد كان من أبرز ما ظهر في الناس من الانحراف ما يلي:

- انتشار البدع وخاصة التصوف، وعكوف الناس على الأضرحة والقبور يتبركون بها، ويطلبون والمدد منها، فلا تكاد تجد أحداً من العامة إلاّ وله طريقة ينتسب إليها وشيخ يردد أوراده المشروعة منها والممنوعة، حتى صار هذا وسيلة لتلاعب الشيطان بهؤلاء الجهلة فيستغيثون عند الملمات بمشايخهم[٣] فترد الجنّ عليهم بصوت الشيخ وتأمرهم وتنهاهم وهم يمتثلون.

كما انفتح باب الابتداع في الدين، والتعبد بما لم يأذن به الله من الاحتفالات البدعية، والأعياد المحدثة، والصلوات غير المشروعة، وأقيمت مجالس السماع والرقص والمزامير واتخاذ ذلك عبادة وقربة يتقربون بها إلى الله، وهذا لا شك غلو في الدين وتعبد بما لم يشرعه رب العالمين.

- في مقابل الغلو ظهر الفسق في الناس والتفريط في أحكام الشرع، فظهر الزنا، وانتشر شرب الخمور، وفتحت الخمارات والحانات، وانهمك الناس في الشراب، والحشيش.

ففي هذا إشارة إلى مدى الانحراف الذي ظهر في المجتمع المسلم في ذلك الوقت مما يتطلّب جهداً كبيراً لإزالة تلك الشبهات والشهوات، والعودة بالناس إلى صفاء العقيدة واعتدال السلوك، وهذا ما بدأه شيخ الإسلام: وسار فيه أتباعه من بعده.

(١) مصدر من أدر الشيء إذا كثر خيره وتتابع. والمراد هنا: تتابع الأعطيات. المعجم الوسيط، مادة (درّ).

(٢) التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار في الثناء على شيخ الإسلام والوصاية به، أحمد بن إبراهيم الواسطي، (ص٢٧، ٢٨).

(٣) ألّف في ذلك شيخ الإسلام: رسالته المشهورة: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وقد بيّن شبههم وكشف تلاعب الشياطين بهم.

المبحث الثاني
أبرز سمات وأصول منهج ابن تيمية الدعوي

وفيه مطالب:

المطلب الأول: أبرز سمات دعوة ابن تيمية:

لم تكن الدعوة التي بدأها شيخ الإسلام دعوة شخصية يدعو بها إلى ذاته، أو إلى مذهب معين، أو طريقة معينة، بل كان يتوخى المنهج النبوي الشرعي في الدعوة، مظهراً لمنهج السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، وكان من أبرز المعالم الظاهرة في دعوته ما يلي:

١) **الاعتصام بالكتاب والسنة**، والاهتمام بآثار السلف الصالح الذين فقهوا الأصلين، والسير على منهجهم في العقيدة والشريعة والأخلاق، مما جعل دعوته أكثر صفاءً، لما علاها من أنوار الوحي المطهر.

٢) **عدم الإلزام بشيء، ولا منع شيء من العقيدة أو الشريعة إلاَّ إذا كان حكمه واضحاً إما نصاً أو اجتهاداً صحيحاً فيما يصح فيه الاجتهاد من الأحكام**، وكثيراً ما يحتج بقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ الأنعام: ١١٩، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ الشورى: ٢١، إلى غير ذلك من الأصول الجامعة.

٣) **الجمع بين صريح المنقول وصحيح المعقول**، ودفع كل ما يعارض ذلك من شبه المعقولات، وكان يجزم بأنَّ العقل الصحيح لا يتعارض أبداً مع النقل الصريح، ويقرر أن التوحيد يؤخذ من الوحي وليس من العقل، وألَّف في ذلك كتابه:

درء تعارض العقل والنقل. ليبطل شبهة أخذ العقيدة من دلالة العقل.

٤) **نبذ التقليد**، وعدم التعصب لأحد من الناس إلاّ رسول الله ﷺ، فلا يتعصب لمذهب ولا لطريقة ولا لعالم ولا لغيره، بل يعرف لكلٍ قدره، ويعمل بما ظهر له أنّه مراد الله ورسوله ﷺ، من غير التفات لمن وافق ذلك من الناس أو خالفه.

٥) **العناية بالاعتقاد الصحيح**، والدعوة إلى التوحيد والعمل بالشريعة، وحث الناس على أخذ العقيدة من الكتاب والسنة ونبذ البدع والخرافات.

٦) **الاهتمام بدعوة الناس وتوجيههم وتعليمهم الأحكام الشرعية**، وتربيتهم وتزكية نفوسهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، بادئا بالدعوة إلى التوحيد وتصحيح الاعتقاد، متأسياً بالنبي ﷺ حين قال الله عنه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ آل عمران: ١٦٤.

٧) **الوسطية والاعتدال**: فقد كان: يدعو إلى الأخذ بالشريعة كاملة وتطبيقها في واقع الحياة، مع التحذير الدائم من الانحراف إلى أحد الطرفين المذمومين، فلا غلو ولا جفاء، بل توسط واعتدال، فكان هذا المنهج أحد أسباب بقاء دعوته واستمرار تأثيرها عبر قرون متطاولة من تأريخ المسلمين.

٨) **الشمول المنهجي مع التأصيل العلمي**، حيث جمعت دعوته بين الشمولية والتأصيل العلمي المقيَّد بالكتاب والسنة، وهذا المزج المتجانس لم يكن ظاهراً في تلك الفترة، إذ كان الناس على قسمين: قسم يهتم بتزكية النفوس، وتفريغ القلوب للطاعة بلا أصل من الكتاب والسنة، فوقعوا في الخرافة، وانتشرت فيهم البدع القولية والعملية في الاعتقادات والمعاملات والسلوك، والقسم

الآخر: اهتم بالعلوم العقلية كعلم الكلام والمنطق والفلسفة، وأخضعوا نصوص الشرع لها، وأهملوا تزكية النفوس والأتباع، ولكل طائفة منهما علماء وشيوخ وأتباع، فصارت دعوة شيخ الإسلام شاملة مؤصَّلة، جمعت بين أطراف المجتمع في تناسق واتفاق.

٩) **العدل مع المخالفين:** فقد كان: قوَّالاً للحق، صادعاً به، لا يخشى في الله لومة لائم، فكان يناصح، ويراسل، وينكر، ويرد على من خالف الكتاب والسنة، ويفند شبه المبتدعة على تعدد مشاربهم، ومن يكون هذا ديدنه لابد أن يكون له أعداء، فمنهم من لاقاه بالأذى والذم له ولدعوته، ومنهم من استعدى عليه السلاطين، أما هو فلم يكن يستحل الكلام في أعراضهم، ولا الشماتة بهم، بل يعرف لهم قدرهم، ويحفظ لهم منزلتهم، ويقوم بحقهم، مع أنه يرد عليهم في المسائل الشرعية التي خالفوا فيها، مبيناً لهم الحق بدليله من الكتاب والسنة.

١٠) **الدعوة إلى الاجتماع على أصول أهل السنة والجماعة مع نبذ البدعة والفرقة والاختلاف.** قال: مبينا تطبيقه ذلك في دعوته وحرصه الشديد على جمع الكلمة على الاعتقاد الصحيح: (والناس يعلمون أنَّه كان بين الحنبلية[1] والأشعرية[2] وحشة ومنافرة، وأنا كنت من أعظم الناس تأليفاً لقلوب

(١) شاع في عصر ابن تيمية - رحمه الله - إطلاق وصف الحنابلة على أهل السنة المتبعين للسلف - رضوان الله عليهم - في مقابلة غيرهم من أهل البدع؛ لأن الحنابلة هم من أقل الناس ابتداعاً، خاصة في أصول العقائد، فهم على عقيدة الإمام أحمد بن حنبل التي هي عقيدة أهل السنة وسلف الأمة.

(٢) هي إحدى الفرق الكلامية، تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري، خالفوا أهل السنة في جملة من الاعتقادات، يثبتون لله تعالى سبع صفات فقط ويؤولون البقية، وهذه السبع: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة، انتشرت هذه العقيدة في المسلمين منذ زمن بعيد، ولا يزال لها وجود كبير إلى اليوم. ينظر: الملل والنحل، (١٠٦/١)، موسوعة الأديان والمذاهب (٢١٥/٣)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٨٣/١).

المسلمين، وطلباً لاتفاق كلمتهم، واتباعاً لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله، وأزلت عامة ما كان في النفوس من الوحشة)[١].

١١) **شمول دعوته لكل الميادين الدعوية ومع كل الناس**، كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم والإفتاء والحسبة... وغيرها، وكان يدعو عامة الناس إلى تصحيح التوحيد، ونبذ الخرافة والبدع، ويدعو الحكام والسلاطين إلى ذلك أيضاً، وكما كان يدعو القريب من أهل السنة إلى الدين يدعو من هو أبعد منهم كاليهود والنصارى وغلاة المبتدعة، فألّف الكتب، وأرسل الرسائل، وجادل وناظر، كل ذلك لإظهار الحق وإبطال الباطل.

١٢) **القوة في الحق، والثبات على المبدأ، والصبر على البلاء والإيذاء في سبيل الدعوة، مع التحلي بالحكمة** ؛ فلم يستحل لنفسه السكوت عن بيان ما يراه حقا، ومن ذلك أن بعض محبيه أشار عليه بعدم الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق[٢] حتى لا يؤذى، فأجابه لذلك، ولم يبق إلا أياماً حتى عاود الإفتاء معللاً ذلك بقوله: (لا يسعني كتمان العلم) فأوذي بسببها وسجن أشهراً ثم أُخرج[٣].

المطلب الثاني: أبرز أصول دعوة ابن تيمية

لقد دارت دعوة ابن تيمية: على أربعة أصول بيانها على النحو الآتي:

الأصل الأول: العقيدة:

العقيدة أساس الدين وعليها مبنى الحساب يوم القيامة، فمن صحت له عقيدته

(١) مجموع الفتاوى (٣/٢٢٧).

(٢) يرى شيخ الإسلام رحمه الله: أنّ من حلف بالطلاق وحنث لزمته كفارة يمين ولا تطلق زوجته، فقال رحمه الله: (فإذا قال: الحلُّ عليَّ حرام لا أفعل كذا، أو الطلاق يلزمني لا أفعل كذا... أجزأه في ذلك كفارة يمين) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣ / ٢٢٣).

(٣) يُنظر: العقود الدرية، (ص٢٥٥).

وأحسن العمل فهو الناجي، ومن لم تصح فهو الخاسر، ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ الإسراء: ١٩.

قال ابن تيمية: في بيان التوحيد الذي أرسل به الرسل عليهم السلام: (إنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية بأن يعبد الله وحده لا يشركون به شيئا فيكون الدين كله لله ولا يُخاف إلا الله ولا يُدعى إلا الله ويكون الله أحب إلى العبد من كل شيء فيحبون لله ويبغضون لله ويعبدون الله ويتوكلون عليه.

والعبادة تجمع غاية الحب وغاية الذل فيحبون الله بأكمل محبة ويذلون له أكمل ذل، ولا يعدلون به ولا يجعلون له أندادا، ولا يتخذون من دونه أولياء ولا شفعاء)[1].

والعقيدة مؤثرة في صاحبها في صحة فهمه وسلامة فكره، فما تجد ضالا في فهمه إلا وقد انحرفت قبل ذلك عقيدته فانحرف تصوره ثم انحرف سلوكه، وإذا صحت عقيدته وخلُص توحيده صح تصوره وصار نظره للأمور أكثر دقة وأحرى إصابة: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ الزمر: ٢٢.

وإن أصل الصلاح بالتوحيد وأصل الفساد والانحراف الشرك بالله تعالى، قال: (فأصل الصَّلاح: التوحيد والإيمان وأصل الفساد: الشِّرك والكفر. كما قال عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ البقرة: ١١ - ١٢، وذلك أنَّ صلاح كل شيءٍ أن يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذي يراد منه... وكان يكثر في كلام السَّلف: هذا لا يصلح أو

(١) منهاج السنة النبوية شيخ الإسلام لابن تيمية، (٣/١٧١-١٧٢).

يصلح. كما كثر في كلام المتأخرين: يصح ولا يصح. والله تعالى إنما خلق الإنسان لعبادته، وبدنه تبع لقلبه كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[(١)].

وصلاح القلب في أن يحصل له وبه المقصود الذي خلق له معرفة اللّه ومحبته وتعظيمه، وفساده في ضدِّ ذلك. فلا صلاح للقلوب بدون ذلك قط)[(٢)].

الأصل الثاني: العبادة:

العبادة هي الوصف الشامل لكل ما يصدر عن الإنسان في دنياه من الأعمال التي يبتغى بها وجه الله والدار الآخرة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣.

ولهذا عرفها ابن تيمية: بتعريفه الجامع فقال:

(العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبرّ الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة)[(٣)].

الأصل الثالث: الأخلاق:

يقرر: أنّ الأخلاق مصدر تلقيها من الشرع، ومنها الفطري والمكتسب، والأخلاق

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، باب: فضل من استبرأ لدينه، برقم (٥٢)، ومسلم، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم (٤١٧٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/١٦٣-١٦٤).

(٣) العبودية، لابن تيمية الحراني، (ص ٤٤).

مؤثرة في النفوس سلباً وإيجاباً، وهي التي تحكم تصرفات العبد وتعاملاته مع الناس حكاماً ومحكومين، فيجب أن تكون على نور من الله تعالى.

قال رحمه الله: (إنَّ السلوك هو بالطريق التي أمر الله بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق، وهذا كله مبين في الكتاب والسنة؛ فإنَّ هذا بمنزلة الغذاء الذي لا بدَّ للمؤمن منه. ولهذا كان جميع الصحابة يعلمون السلوك بدلالة الكتاب والسنة والتبليغ عن الرسول لا يحتاجون في ذلك إلى فقهاء الصحابة ولم يحصل بين الصحابة نزاع في ذلك كما تنازعوا في بعض مسائل الفقه التي خفيت معرفتها على أكثر الصحابة)[1].

الأصل الرابع: المعاملات:

معلوم أنَّ ابن تيمية رحمه الله نشأ على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وكان جده أبو البركات: مجد الدين أبو البركات ابن تيمية[2] من علماء المذهب الحنبلي، إلا أنه لم يتقيد بالمذهب بل كان يجتهد اجتهادا مطلقا، فيرجح ما رجحه الدليل، لذا نقل عنه مسائل خالف فيها المشهور من المذاهب الأربعة مع أنه لا توجد له مسألة خالف فيها إلا وله سلف من الصحابة أو التابعين.

وإن من أبرز ما كان يقرره ابن تيمية: بشأن المعاملات أنَّ الأصل فيها الحل والإباحة إلا إذا دل دليل على التحريم فقال: (أما المعاملات في الدنيا فالأصل فيها أنَّه لا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله، فلا حرام إلا ما حرَّم الله ولا دين إلا ما شرعه)[3].

(١) مجموع الفتاوى (١٩/٢٧٣).

(٢) هو: عبد السلام بن عبد الله بن الخضر الحراني، اشتغل بالعلم وتفقه حتى انتهت إليه الإمامة في الفقه، توفي سنة اثنتين وخمسين وست مئة من الهجرة. من كتبه: منتقى الأخبار في الفقه. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٩٢).

(٣) جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٣١٧).

ويقرر أيضا أنَّه لا يجب التزام صيغة معينة في المعاملات والعقود بل المشروط أن تكون تلك الصيغة دالةً على العقد، فيقول: (لا يجب على النَّاس التزام نوع معيَّن من الاصطلاحات في المعاملات، ولا يحرم عليهم التَّعاقد بغير ما يتعاقد به غيرهم، إذا كان ما تعاقدوا به دالا على مقصودهم)[١].

ويرى أنَّ الشريعة جاءت بالعدل في كل شيء، والمعاملات مما جاءت به الشريعة فيجب أن تكون قائمة على العدل بين المتعاقدَين فيقول: (في المعاملات من المبايعات والإجارات والوكالات والمشاركات والهبات والوقوف والوصايا ونحو ذلك من المعاملات المتعلقة بالعقود والقبوض العدل فيها هو قوام العالمين لا تصلح الدنيا والآخرة إلا به، فمن العدل فيها ما هو ظاهر يعرفه كل أحد بعقله، كوجوب تسليم الثمن على المشتري وتسليم المبيع على البائع المشتري، وتحريم تطفيف المكيال والميزان، ووجوب الصدق والبيان وتحريم الكذب والخيانة والغش، وأن جزاء القرض الوفاء والحمد، ومنها ما هو خفي جاءت به الشرائع أو شريعتنا أهل الإسلام، فإنَّ عامة ما نهى عنه الكتاب والسنة من المعاملات يعود إلى تحقيق العدل والنهي عن الظلم دقه وجله)[٢].

* * *

(١) الفتاوى الكبرى (٤/ ٦).

(٢) رسالة الأموال لابن تيمية (٢٨/٣٨٥).

المبحث الثالث
أبرز الوسائل والأساليب في دعوة ابن تيمية

وفيه مطلبان:

كانت حياة ابن تيمية مبذولة للدعوة إلى الله تعالى، والدفاع عن بيضة الإسلام، وردِّ الناس إلى العقيدة الصافية والمنهج الحق، وجهاد أعداء الدين بالبيان والسنان، حتى ضرب في كل غنيمة بسهم، وقد سلك في دعوته تلك وسائل وأساليب كثيرة يمكن بيان أبرزها في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: أبرز الوسائل الدعوية في دعوة ابن تيمية:

كان من أبرز الوسائل التي استعملها ابن تيمية في دعوته خمس وسائل، هي على النحو الآتي:

أولاً: التعليم:

عاش ابن تيمية أكثر حياته في التعلُّم والتعليم، فاجتمع حوله طلاب العلم، ودرّس وحاضر في كل البلاد التي نزل بها، بالإضافة إلى تدريسه في بعض المدارس النظامية بدمشق.

وقد تميّزت جهود ابن تيمية في التدريس بميزات جعلت له صيتاً وشهرة في الأقطار الإسلامية، بالإضافة إلى أنه وضع اللبنات الأولى للدعوة التجديدية التي ابتدأها هو واستمر عليها تلاميذه، حتى أبانوا منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة، ونشروا مذهب السلف الصالح رضي الله عنهم خالياً من البدع والمحدثات.

ولا أدلَّ على تأثير التعليم ابن تيمية بتعليمه من شهادة أنجب تلاميذه، الذي أخبر عن نفسه أنَّه لم يعرف العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص إلا بعد حضوره لدروس شيخه ابن تيمية: - ذاك هو ابن القيم - حيث قال في نونيته:

يا قـــوم والله العظيم نصيحة من مشفق وأخ لكم معوان
جربت هذا كله ووقعت في تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لـــي الإلـــه بفضله من ليس تجزيه يدي ولساني
حبر أتى من أرض حران فيا أهـــلا بمن جاء من حـــران
فالله يـــجزيه الذي هـــو أهله من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يرم حـــتى أراني مطلع الإيمان
ورأيت أعلام المدينة حـــولها نزل الهدى وعساكر القرآن
ورأيت آثـــارا عظيما شأنها محجوبة عـــن زمرة العميان
ووردت رأس الماء أبيض صافيا حصباؤه كلآلئ التيجان[1]

وقد خرَّج ابن تيمية بالتعليم جيلا من العملاء الربانيين والدعاة المصلحين الذين حملوا من بعده لواء العلم والدعوة إلى منهج أهل السنة والجماعة بفهم السلف الصالح رضي الله عنهم.

ثانياً: الحسبة:

كان: قائماً بالحسبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يكاد يـــرى منكـــراً يخالف العقيدة أو يقدح في التوحيد إلا انبرى لإنكاره وردِّ الناس عنه بحسب قدرتـــه ومدى نفوذه.

ومن ذلك ما فعله مع بعض الشيوخ الذين كانوا يقيمون الـــسماع، ويحـــضرون مجالسه، قال: ذاكراً قصة وقعت له في صغره: ((وكنت أوائل عمري حـــضرت مـــع جماعة من أهل الزهد والعبادة والإرادة فكانوا من خيار أهل الطبقة، فبتنـــا بمكـــان، وأرادوا أن يقيموا سماعاً وأن أحضر معهم فامتنعت من ذلك، فجعلوا لي مكاناً منفرداً

(١) القصيدة النونية لابن قيم الجوزية (ص١٤٣).

قعدت فيه، فلما سمعوا وحصل الوجد[1] والحال[2]، صار الشيخ الكبير يهتف بي في حال وجده ويقول: يا فلان، قد جاءك نصيب عظيم، تعال خذ نصيبك، فقلت في نفسي، ثم أظهرته لهم لما اجتمعنا: أنتم في حلٍّ من هذا النصيب، فكل نصيب لا يأتي عن طريق محمد بن عبدالله ﷺ فإني لا آكل منه شيئاً، وتبيّن لبعض من كان منهم ممن له معرفة وعلم أنه كان معهم الشياطين، وكان منهم من هو سكران بالخمر)) [3].

وكان ينكر البدع والمحدثات أنّى وجدها، حتى لما ذهب إلى مصر كان ينهى الناس هناك عن زيارة المشاهد، والتوسل بالأموات، بجرأة عجيبة وقوة في الحق لا تدرك[4].

كما أنكر على طائفة الأحمدية الذين كانوا يلبّسون على الناس بأنهم أصحاب كرامات، وخوارق، فجادلهم وحضر المجالس لمناظرتهم، وكشف أحوالهم للناس، حتى بلغ بهم الأمر أن طلبوا منه أن يسلّم إليهم حالهم ويتركهم ولا يحذّر الناس مما هم فيه من الدجل والاستعانة بالجن والشياطين، وهو مع هذا قائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى كاد أن يُقتل بسببه أربع عشرة مرة، لا يقال له: (وافقنا) بل يطلب منه السكوت، ويقول: أُقتل ولا يسعني أن أسكت عمن خالفني[5].

ولم تكن قوته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقتصرة على عامة الناس، بل كان قوياً في الحق آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر حتى في بلاط السلاطين[6]، ومع

(١) هو: عجز الروح من احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر. معجم مصطلحات الصوفية للحفني، ص (٢٦٤).
(٢) هو: ما يرد على القلب من طرب أو حزن أو بسط أو قبض، ويسمى أيضاً بالوارد. المصدر نفسه (ص٧٣).
(٣) مجموع الفتاوى (٤١٨/١٠).
(٤) ينظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام، (ص١٣٩).
(٥) ينظر: المصدر السابق، (ص١٤٧).
(٦) ينظر إنكاره على السلطان محمد بن قلاوون في مجلسه. البداية والنهاية (٥٩/١٤).

ملوك غير المسلمين[١].

ولمّا كان قوياً في الحق لا يماري به ولا يداهن، ولا يلبِّس الدين لأجل أحد، بل مراده رضا الله تعالى، فقد مكّن الله له في بلده دمشق حتى صار يعزر ويقيم الحدود، ويأمر بالقطع في السرقة، والقتل، وقد نُقل من أفعاله شيء كثير.

وقطع هو وأصحابه شجرة بالشام كانت تزار وينذر لها، ويعتقد الجهلة من الناس بها[٢]، وكان يطوف في دمشق مع أصحابه، فيكسرون آنية الخمور، ويشققون الظروف[٣]، ويعزرون أهل الحانات المتخذة لفعل هذه المنكرات[٤].

ثالثاً: الجهاد:

كان ابن تيمية دائم الحضور في الأزمات التي تمر بها البلاد الإسلامية، وخاصة بلاد الشام فكان عند كل تحرك للتتار تجاه بلاد الشام يقوم بحثّ الولاة على الاستعداد للجهاد في سبيل الله وقتال التتار الضالين، ويعظ الناس ويذكرهم أنّ هذا بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، ويثبِّت المجتمع عندما تحلّ المخاطر، فيمنعهم من الهجرة وترك البلاد والأموال، ويرغبهم في البقاء، والدفاع، وقتال الأعداء...

ومن أشهر القتال الذي خاضه ابن تيمية دفاعا عن المسلمين وقتالا للكافرين وقعة شقحب[٥] في شهر رجب سنة اثنتين وسبعمائة، وقتال أهل الكسروان[٦] من الباطنية في أوائل سنة خمس وسبعمائة: ((وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خير كثير، وأبان الشيخ علماً وشجاعة في هذه الغزوة، وقد امتلأت قلوب أعدائه حسداً له

(١) من ذلك رسالته إلى ملك قبرص النصراني. ينظر: الرسالة القبرصية في مجموع الفتاوى (٢٨/٦٠١-٦٣٠).
(٢) ينظر: البداية والنهاية (١٤/٣٨).
(٣) هي: الأوعية، والمراد أوعية الخمور. ينظر: المعجم الوسيط، مادة (ظرُف).
(٤) ينظر: البداية والنهاية (١٤/١٣).
(٥) هي: موضع قرب دمشق على تخوم أرض حوران. ينظر: القاموس المحيط، مادة (شقب).
(٦) الكسروان: جبال تتصل بسلسلة جبال لبنان، تسكنها النصيرية.

وغماً))[1].

((وحُكي من شجاعته في مواقف الحرب نوبة شقحب ونوبة الكسروان ما لم يُسمع إلاّ عن صناديد الرجال، وأبطال اللقاء، وأحلاس الحرب[2]، تارة يباشر القتال، وتارة يُحرِّض عليه...))[3].

رابعاً: الرسائل الشخصية:

كان: جريئا في الكتابة والمراسلة لا يتردد أن يكتب لأحد كائنا من كان، وقد تنوعت رسائله بحسب الموضوع وبحسب المرسل إليه، فقد كتب عدة كتب أرسلها للأمصار جوابا على أسئلة كانت ترد عليه منهم في مسائل في العقيدة أو الشريعة، كرسالته لأهل واسط وأهل حماة في تقرير توحيد الأسماء والصفات والرد على المخالفين فيه من أهل الكلام[4]، ورسالته إلى أهل البحرين إجابة على تساؤلاتهم[5].

ومنها ما أرسله إلى الملوك في عصره، ومن ذلك رسالته للسلطان المملوكي وصية له بإقامة العدل ورعاية شعائر الدين[6]، وما أرسله للكفار من أجل دعوتهم إلى الإسلام وتحذيرهم من إيذاء المسلمين، كرسالته لملك قبرص التي جمع فيها بين الشدة واللين والترغيب والترهيب، ومخاطبة العاطفة والعقل معا[7]. إلى جانب رسائل كثيرة إلى أقاربه وتلاميذه يوصيهم فيها بالتزام الحق والصبر عليه[8].

(١) البداية والنهاية (١٤/٣٩).
(٢) حلس الحرب: الملازم الذي لا يبرح القتال. لسان العرب، مادة (حَلَسَ)
(٣) مسالك الأبصار، بواسطة: الجامع لسيرة شيخ الإسلام، (ص٣٢٢، ٣٢٣).
(٤) هما الرسالتان المعروفتان بالواسطية والحموية.
(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/٤٨٥).
(٦) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٤٣).
(٧) ينظر لهذه الرسالة مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٠١).
(٨) من ذلك رسالته إلى والدته في العقود الدرية (ص٢٧٣)، ومجموع الفتاوى (٢٨/٣٠).

خامساً: التأليف

لا أحد ينكر أثر تأليف الكتب في حمل المنهج ودعوة الناس وتصحيح العقيدة وإقامة حجة الله على عباده، وابن تيمية: قد ألف كمًّا هائلا من الكتب، منها ما ألفه عنوة لتقرير مسائل من الدين ككتاب الاستقامة، ومنها ما دفعه إلى تأليفها الرد على بعض الضلال والمنحرفين كمنهاج السنة الذي ألفه ردا على كتاب منهاج الكرامة للرافضي، وكتاب درء تعارض العقل والنقل الذي أُلف ردا على أهل الكلام وتفنيدا لشبههم، ومنها ما كان جواباً لأسئلة في العقيدة وردت إليه كالتدمرية والواسطية والحموية، وكانت أكثر كتبه في التوحيد تقريراً أو دفاعاً ورداً على المخالفين من سائر الطوائف، كأهل الكلام والرافضة والصوفية وغيرها.

وقد كان خصومه يسعون على عدم ظهور كتبه وانتشارها، لما يعلمونه منها من قوة الحجة وشدة الإقناع، إلا أن الله تعالى سخرهم أنفسهم لإظهارها ونشرها رغبة في الإضرار به، فأعلى الله ذكره بذلك، قال: حاكيا ذلك: ((ونحن -ولله الحمد والشكر- في نعم عظيمة تتزايد كل يوم ويجدِّد اللّه تعالى من نعمه نعما أخرى؛ وخروج الكتب كان من أعظم النِّعم فإني كنت حريصا على خروج شيءٍ منها لتقفوا عليه وهم كرهوا خروج "الإخنائية" فاستعملهم اللّه في إخراج الجميع؛ وإلزام المنازعين بالوقوف عليه، وبهذا يظهر ما أرسل اللّه به رسوله من الهدى ودين الحق؛ فإنَّ هذه المسائل كانت خفيَّة على أكثر النَّاس، فإذا ظهرت فمن كان قصده الحقَّ هداه اللّه؛ ومن كان قصده الباطل قامت عليه حُجَّة اللّه، واستحقَّ أن يذلّه اللّه ويخزيه، وما كتبت شيئا من هذا ليكتم عن أحدٍ ولو كان مبغضا))[1].

ومن قرأ عناوين مؤلفاته وجد أنه ما ترك بابا من أبواب العلم إلا ألف فيه إما

(١) مجموع الفتاوى(٢٨/٤٧).

مستقلا أو ضمن أحد كتبه ورسائله، فقد ألف في العقيدة والفقه والأصول والأخلاق والسلوك، وغيرها، مما يدل على سعة علمه وكثرة اطلاعه.

المطلب الثاني: أبرز الأساليب الدعوية في دعوة ابن تيمية

لقد استخدم ابن تيمية: عدة وسائل دعوية مرَّ ذكر أبرزها، وإلى جانبها سلك عددا من الأساليب الدعوية لتقديم دعوته للناس، ومن أبرز تلك الأساليب:

أولا: القدوة:

الإنسان مجبول على التقليد والمحاكاة لغيره، وهذا ما يعرف بالاقتداء، وابن تيمية: يقررأنَّ القدوة المطلق الذي يُقتدى به في كل أمر من الأمور هو رسول الله ﷺ الذي امتثل الدين عقيدة وشريعة وأخلاقا ومعاملة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١، وأما غيره فيقتدى به فيما وافق فيه الشرع، وأما ما خالف فيه فلا يسوغ الاقتداء به.

ويحذِّر: من الاقتداء بالمتفلسفة والنظر في كتبهم ويوصي بصحبة المتبعين للرسول ﷺ فقال: (إيَّاك والنَّظر في كتب أهل الفلسفة الذين يزعمون فيها أنه كلَّما قوي نور الحقِّ وبرهانه في القلوب خفي عن المعرفة كما يبهر ضوء الشَّمس عيون الخفافيش بالنَّهار، فاحذر مثل هؤلاء، وعليك بصحبة أتباع الرسل المؤيدين بنور الهدى وبراهين الإيمان، أصحاب البصائر في الشبهات والشهوات، الفارقين بين الواردات الرحمانية والشيطانية، العالمين العاملين ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة: ٢٢)[1].

وقد امتثل ابن تيمية: ذلك فصار قدوة لتلامذته وللدعاة من بعده في علمه وتعليمه

(١) مجموع الفتاوى، (٦٩٧/١١).

ودعوته وعكوفه على الدليل ونشره للعلم واحتسابه على المنكرات والمخالفات، وهذا ما سيزداد وضوحا عند بيان أثر دعوته في الدعوات اللاحقة لها.

ثانيا: الإفتاء:

لقد بدأ ابن تيمية: الإفتاء من زهرة شبابه حتى عُرف بين الناس، فصاروا يسألونه ويصدرون عن رأيه في كثير من مسائل الدين، وقد لاقى ابتلاء وعناء شديدا بسبب فتاواه المخالفة لما عليه علماء زمنه من القضاة وغيرهم، الذين لم تصفوا عقيدتهم؛ بل استحكم عليهم التقليد وانتحلوا المذاهب والطرق الصوفية.

ولعل من أبرز ما أثار عليه قضاة زمانه فتواه بتحريم شدّ الرحال إلى القبور[1] وأنّ الرحال لا تشدُّ إلا إلى ثلاثة مساجد كما هو ثابت في الحديث الصحيح: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى)[2]، وقد سجن بسببها سنتين وثلاثة أشهر حتى توفي وهو في هذه السجن.

(١) كان خصوم شيخ الإسلام ينسبون إليه أنه يمنع من زيارة قبور الأنبياء ومنها قبر النبي ﷺ، وأنه يرى أنها معصية بالإجماع. وهنا يظهر تلبيسهم الحق بالباطل، ونسبة قول إلى شيخ الإسلام لم يقله، وإنما كان يمنع من شدّ الرحال إلى القبور ولا يمنع من زيارة القبور بل يستحبها ويدعو إليها كما هي السنة. قال ابن كثير مبيناً موقف شيخ الإسلام وموقف مخالفيه، ومفنداً هذا الادعاء: ((قال: - يعني قاضي الشافعية في ادعائه على شيخ الإسلام - (وإنما المحَرَّمُ جعلهُ زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالإجماع، مقطوعاً بها). فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الإسلام، فإن جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وإنما فيه ذكر قولين في شدّ الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور، وزيارة القبور من غير شدّ رحل إليها مسألة، وشدّ الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شدّ رحل، بل يستحبها ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرض إلى هذه الزيارة في هذه الوجه في الفتيا، ولا قال إنها معصية، ولا حكى الإجماع على المنع منها، ولا هو جاهل قول الرسول: (زوروا القبور، فإنها تذكركم الآخرة) والله سبحانه لا يخفى عليه شيء، ولا يخفى عليه خافية ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ الشعراء: ٢٢٧)) ينظر: البداية والنهاية، (١٣٦/١٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة، برقم (١١٣٢) ومسلم، باب: لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، برقم (٣٤٥٠).

وقد جمعت في العصر الحاضر فتاواه فبلغت عشرات المجلدات، مما فيه أكبر دليل على اشتغاله بالفتوى: طول حياته.

ثالثا: المناظرات والمحاورات:

لقد خاض ابن تيمية عدة مناظرات في مسائل شرعية في مسائل في التوحيد أو الأحكام والفقه بحضور العلماء والقضاة في مجلس الوالي في دمشق أو السلطان المملوكي بمصر، ومن تلك المناظرات المحفوظة مناظرته للقضاة بمجلس نائب السلطنة ومناقشته في عقيدة، فأحضر الشيخ العقيدة الواسطية وقال: هذه عقيدتي، فجرى فيها نقاش لعدة أيام، ثم سُجن بسببها ثمانية عشر شهراً[1].

* * *

المبحث الرابع
أبرز نتائج دعوة ابن تيمية والدروس المستفادة منها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أبرز نتائج دعوة ابن تيمية.

لقد أنتجت دعوة ابن تيمية: ثماراً يانعة في حياة المسلمين منها:

١) ردُّ الناس إلى صفاء المنهج الموروث عن السلف، فالمعظم الذي لا يسوغ الخروج عنه أبدا هو الدليل من الكتب والسنة، يُحكم بهما ويُرد عند الاختلاف والتنازع إليهما، وما يشكل فهمه يُحلُّ بمعرفة فهم الصحابة له، إذ هم أبر قلوبا وأكثر علما وأصدق إيمانا وأفصح ألسنا، ولأنهم عاصروا التنزيل وشهدوا من النبي ﷺ الامتثال والتطبيق.

٢) العودة بالناس إلى العقيدة الصحيحة الخالية من البدع والمحدثات والمخالفات التي

(١) العقود الدرية (ص٢١٩).

أحدثت بعد عصر الخلافة الراشدة.

٣) إحياء مفهوم العبادة بشموله المعروف بدلالة الكتاب والسنة، الشامل لكل ما يصدر عن العبد من قول أو فعل أو اعتقاد مما يحبه الله ويرضاه.

٤) تحرير العلم من شرك التقليد إلى رحاب الاجتهاد والأخذ من المورد الصافي: الكتاب والسنة، مع احترام العلماء ووزن أقوالهم بالشرع، فما وافق النصوص منها وهو معتبر وما خالفها فمردود، وحقُّ قائلها محفوظ مادام مجتهدا اجتهادا سائغا.

٥) تقرير التوافق بين النقل الصريح والعقل الصحيح، فحفظ بذلك حقين: حق النقل في السلطان على كل شيء، وحق العقل في التأمل والتفكير والاستنباط.

٦) ربط العلم بالعمل وأنَّ كل علم لا يقود إلى العمل فليس من الدين، وهذا هو الذي حرر فقه ابن تيمية من المسائل الجدلية الكلامية التي لا يندرج تحتها عمل.

٧) التأثير في كثير من الدعوات التي قامت بعدها، حيث أصبحت تلك الدعوات تقتفي أثر دعوة ابن تيمية:، فهي كالامتداد لها عبر القرون، فتاثيرها في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ظاهر معلوم، بل هي امتداد حقيقي لها عَرَفَ ذلك الموافق والمخالف، ومما يدُّل على ذلك أيضا عناية الشيخ محمد بن عبد الوهاب بكتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم واختصاره لبعضها، وأيضا: متابعته لهما في كثير من الاختيارات الفقهية التي قرروها وانتصروا لها.

وقد أثرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عدد من الدعوات التي نشأت بعدها في كثير من البلدان، قال خير الدين الزِركلي[1] عنها: (وكانت دعوته- وقد

(١) هو: خير الدين بن محمد بن محمود الزِركلي، مؤرخ وشاعر وأديب وسياسي، تنقل بين الشام ومصر والسعودية، وشارك في إنشاء العديد من الصحف، توفي سنة ست وتسعين وثلاثمئة وألف من الهجرة. من كتبه: الأعلام، ما رأيت وما سمعت. ينظر: ذيل الإعلام (٢٦٧/٨).

جهر بها سنة ١١٤٣هـ- الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله: تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها، فظهر الآلوسي الكبير[١] في بغداد، وجمال الدين الأفغاني[٢] بأفغانستان، ومحمد عبده[٣] بمصر، وجمال الدين القاسمي[٤] بالشام، وخير الدين التونسي[٥] بتونس، وصديق حسن خان[٦] في بهوبال، وأمير علي[٧] في كلكتة، ولمعت أسماء آخرين)[٨].

وقال الشيخ عبد الحميد الرحماني الهندي في بيان تأثير دعوة ابن تيمية على الدعوة السلفية في الهند: (وقد أجمع المؤرخون على اختلاف آرائهم حول شيخ الإسلام على قدوم بعض تلامذته من الشام ومصر إلى الهند وتأثيرهم في الملك محمد تغلق،

(١) هو: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، مفسر ومحدث وأديب من أهل بغداد، تولى القضاء بها مدة، وتوفي بها سنة سبعين ومئتين وألف من الهجرة. من كتبه: روح المعاني في التفسير. ينظر: الأعلام (١٧٦/٧).

(٢) هو: محمد بن صفدر الحسيني، ولد بأفغانستان ونشأ بها، ثم ارتحل متنقلا بين كثير من الأقطار حتى مات بالأستانة سنة خمس عشرة وثلاثمئة من الهجرة. من كتبه: تاريخ الأفغان، الرد على الدهريين. ينظر: الأعلام (١٦٨/٦).

(٣) هو: محمد عبده بن حسن خير الله التركماني، مفتي مصر في زمنه، توفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة من الهجرة. من كتبه: تفسير القرآن، رسالة التوحيد. ينظر: الأعلام (٢٥٢/٦).

(٤) هو: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، عالم وداعية وأديب شامي، كلف بالدعوة في القرى الشامية، واشتغل بالتعليم طول حياته، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة وألف من الهجرة. من كتبه: دلائل التوحيد، إصلاح المساجد من البدع والعوائد. ينظر: الأعلام (١٣٥/٢).

(٥) هو: خير الدين باشا التونسي، مؤرخ وسياسي وداعية للإصلاح، كان وزيرا للمملكة التونسية ثم عزل عنها فانتقل إلى الأستانة وتولى الصدارة العظمى بها سنة واحد ثم استقال، وبقي بتركيا إلى أن توفي سنة ثمان وثلاثمئة وألف من الهجرة. من كتبه: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك. ينظر: الأعلام (٣٢٧/٢).

(٦) هو: محمد صديق بن حسن بن علي خان القنوجي، عالم وداعية هندي، شارك في السياسة حتى بلغ الوزارة ثم النيابة في مملكة بهوبال، توفي سنة سبع وثلاثمئة وألف من الهجرة. من كتبه: أبجد العلوم، وحسن الأسوة. ينظر: الأعلام (١٦٧/٦).

(٧) هو: أمير علي بن سعادات علي الهندي، نشأ وتعلم في الهند وتولى عدة مناصب، وبذل جهدا كبيرا في الدفاع عن الإسلام وكشف الشبهات حوله، توفي سنة سبع وأربعين وثلاثمئة من الهجرة. من كتبه: حياة محمد، مختصر تاريخ المسلمين. ينظر: الأعلام (١٣/٢).

(٨) الإعلام، (٢٥٧/٦).

وإسهامهم في القضاء على العادات والتقاليد والبدع والخرافات، وعلى رأس هؤلاء التلامذة: العلامة عبدالعزيز الأردبيلي، والشيخ عليم الدين، والعلامة: شمس الدين ابن الحريري[١])[٢].

المطلب الثاني: أبرز الدروس المستفادة من منهج ابن تيمية الدعوي

بعد الاطلاع على دعوة ابن تيمية: يمكننا أن نستخلص دروسا دعوية تفيد الدعاة في هذا العصر الذي شابه عصر ابن تيمية في كثير من جوانب الحياة، ومن تلك الدروس:

١) أنَّ الهدف الأسمى الذي يجب أن يُدعى الناس إليه هو توحيد الله تعالى وإفراده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وتصحيح عقيدة المدعوين وصيانتها عن الانحراف البدع والمنكرات.

٢) أنَّ منهج أهل السنة والجماعة يعتمد على تعظيم النصوص الشرعية والالتزام بها وتحكيمها والتحاكم إليها عند الاختلاف والتنازع، ويجب أن يكون هذا ظاهرا في مسيرة الدعاة إلى الله فيما يعلمونه للناس أو يخطونه بأيديهم.

٣) الداعية الحصيف هو الذي يربي الناس على المنهج الصحيح ليكونوا حملة له يمتثلونه في أنفسهم وينشرونه بين الناس، كما فعل ابن تيمية:، فقد ربى ثلة من التلاميذ صاروا فيما بعد من أبرز علماء المسلمين.

٤) الدعوة إذا قامت على العلم الشرعي تكون أكثر إصابة للحق وأعمق أثرا في الناس، وهذا ما تمثل في دعوة ابن تيمية:، فقد أتقن العلوم الشرعية وألَّف

(١) هو: محمد بن عثمان بن أبي الحسن بن عبد الوهاب الأنصاري، ولد بدمشق سنة (٦٥٣هـ)، أخذ العلم عن مشايخها، وولي القضاء فيها سنة (٦٩٩هـ)، توفي سنة (٧٢٨هـ). ينظر: الجواهر المضيّة (٣/٢٥٠).

(٢) ينظر: مقدمة الشيخ عبد الحميد الرحماني لكتاب: دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية، صلاح الدين مقبول، (١/٢٤-٢٥ بتصرف).

فيها، بل أتقن مذاهب الناس وناظر وجادل أهلها وبين خطأهم ومخالفتهم لأصول أئمتهم.

٥) أنَّ الداعية يستعين بكل ما يمكنه من الوسائل والأساليب التي تعينه على إيصال دعوته للناس، ليكون لها الأثر الأكبر في الواقع.

٦) أنَّ الداعية إلى الله على منهج السلف الصالح المعظم للكتاب والسنة يكون عرضة للابتلاء والامتحان فيؤذى وقد يسجن أو يقتل، ولا يعدُّ هذا نقصا فيه ولا خللا في دعوته، قال الله تعالى لنبيه ﷺ والصحابة رضي الله عنهم بعد البلاء والقتل الذي أصابهم في غزوة أحد: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ آل عمران: ١٤٠.

٧) وجوب صبر الدعاة إلى الله على ما يصيبهم في سبيل دعوتهم، كما أوصى بذلك موسى عليه السلام قومه، قال الله عنه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ الأعراف: ١٢٨.

٨) أنَّ أهل البدعة غالبا يناصبون أهل الحق العداء فالواجب على الدعاة إلى الله التعامل معهم بالعدل والإنصاف، فإن لم يتقوا الله في الدعاة فلا أقل من أن يتقي الدعاة الله فيهم.

* * *

الخاتمة

إنَّه بعد دراسة دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية خرجتُ بنتائج مهمة للدعوة حتى تكون على منهاج النبوة، ومن تلك النتائج:

١. أنَّ دعوة ابن تيمية: قائمة على تعظيم الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، فهي متبعة في الدين لا مبتدعة فيه.

٢. أنَّ هذه الدعوة قد جعلت تصحيح العقيدة والرد على البدع أصلا من أصولها في الدعوة إلى الله، وبسببها يكون الحكم على الأشخاص، فمن صحت عقيدته فهو القريب الذي تجب موالاته، ومن انحرف وقع عليه من الأسماء والأحكام الشرعية ما يستحقه، وبناء عليها يكون الولاء والبراء.

٣. أنَّه كلما انحرف الناس عن جادة الحق في العقيدة والشريعة وقع أهل الخير والصلاح في غربة الدين التي أخبر بها النبي ﷺ.

٤. أنَّ جُلَّ إنتاج دعوة ابن تيمية معتنيا بالتأصيل والتصحيح لمسائل الدين والدعوة إليها وردا على المخالفين لها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية ـ ط٤، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ.
٣. البداية والنهاية، أبو الفداء ابن كثير (٧٧٤هـ)، ت: أحمد عبد الوهاب فتيح، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٤هـ.
٤. التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار في الثناء على شيخ الإسلام والوصاية به، أحمد بن إبراهيم الواسطي (٧١١هـ)، ت: عبد الرحمن الفريوائي، ط٢، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٥هـ.
٥. جامع الرسائل، ابن تيمية، ت:د. محمد رشاد سالم، ط١، دار العطاء، الرياض،١٤٢٢هـ
٦. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: د.مصطفى البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ
٧. الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ط: بدون، دار الجيل، بيروت سنة النشر: بدون.
٨. الجامع لسيرة شيخ الإسلام، جمع: محمد عزيز شمس، علي العمران، ط٢، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٢هـ.
٩. الدرر الكامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، ت: محمد عبد المعين خان، ط٢، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ.
١٠. دعوة شيخ الإسلام وأثرها على الحركات الإسلامية، صلاح الدين مقبول أحمد، ط٢، الكويت، دار ابن الأثير، ١٤١٦هـ.

١١.ذيل الأعلام، أحمد العلاونة، ط١، دار المنارة، ١٤١٨هـ.
١٢.السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية، ط: بدون، دار المعرفة، بيروت، سنة النشر: بدون.
١٣.العبودية، شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، ت: محمد زهير الشاويش، ط٧، المكتب الإسلامي، بيروت،١٤٢٦هـ.
١٤.العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي (٧٤٤هـ)، ت: طلعت بن فؤاد الحلواني، ط١، القاهرة، الفاروق الحديثة، ١٤٢٢هـ.
١٥.الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا وأخيه مصطفى، ط بدون، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة النشر: بدون.
١٦.القاموس المحيط، للفيروزآبادي - ط٥، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ
١٧.القصيدة النونية، ابن قيم الجوزية، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة،١٤١٧هـ (ص١٤٣).
١٨.قواعد وضوابط فقه الدعوة عند ابن تيمية، عابد الثبيتي، ط١، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٨هـ.
١٩.لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ)، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.
٢٠.مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية، ١٤١٦هـ.
٢١.مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ت: محمد حلاّق، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩هـ.

٢٢.المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، دينهارت دوزي، بغـــداد، وزارة الإعلام، ١٩٧١م.
٢٣.المعجم الوسيط، صادر عن مجمع اللغة العربية، جمع وترتيب: إبراهيم مصطفى وآخرون، استانبول، المكتبة الإسلامية، سنة النشر: بدون.
٢٤.معجم قبائل العرب، لعمر كحالة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٨٨هـــ.
٢٥.معجم مصطلحات الصوفية، للحفني، ط٢، بيروت، دار المسيرة، ١٤٠٧هـــ.
٢٦.منهاج السنة النبوية شيخ الإسلام بن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، ط١، مؤسسة قرطبة، بلد النشر: بدون، سنة النشر: بدون.
٢٧.منهج ابن تيمية في الدعوة، د. عبد الله بن رشيد الحوشاني، ط١، الريـــاض، دار إشبيليا، ١٤١٧هـــ.
٢٨.منهج شيخ الإسلام التجديدي ودعوته الإصلاحية، سعيد عبـــدالعظيم، ط١، الإسكندرية، دار العقيدة للتراث، ١٩٩٩م.

* * *

فهرس المحتويات

- المقدمة:.....
- **المبحث الأول: عصر ابن تيمية**.....
- المطلب الأول: الحالة السياسية:.....
 - ❖ المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية:.....
 - ❖ المطلب الثالث: الحالة الدينية:.....

أولاً: الانحرافات عند الحكام:.....

ثانياً: الانحراف عند العلماء:.....

ثالثاً: الانحراف عند العامة:.....

- **المبحث الثاني: أبرز أصول وسمات دعوة ابن تيمية**.....
 - ❖ المطلب الأول: أبرز سمات دعوة ابن تيمية:.....
 - ❖ المطلب الثاني: أبرز أصول دعوة ابن تيمية:.....
- **المبحث الثالث: أبرز الوسائل والأساليب في دعوة ابن تيمية:**.....
 - ❖ المطلب الأول: أبرز الوسائل الدعوية في دعوة ابن تيمية.....
 - ❖ المطلب الثاني: أبرز الأساليب الدعوية في دعوة ابن تيمية.....
- **المبحث الرابع: أبرز نتائج دعوة ابن تيمية والدروس المستفادة منها.**
 - ❖ المطلب الأول: أبرز نتائج دعوة ابن تيمية.....
 - ❖ المطلب الثاني: أبرز الدروس المستفادة من دعوة ابن تيمية.....
- الخاتمة:.....
- قائمة المصادر والمراجع:.....
- فهرس المحتويات:.....

* * *